مادة منهجية البحث

السنة أولى ماستر

الأستاذة سهل ليلى

المحاضرة رقم 2: مفهوم البحث العلمي

جاء في لسان العرب : "البحث طلبك الشيء في التراب والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر عنه، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا سأل. وكذلك استبحثه واستبحث عنه. وبحث عن الشيء طلبه وفتّش عنه أو سأل عنه واستقصى ، وبحث الأمر أو بحث فيه اجتهد فيه وتعرف حقيقته"

فالبحث هو بذل المجهود الذهني في التحري أو التتبع أو التفتيش أو التقصي عن مسألة أو أمر معين ، بقصد التعرف على حقيقة وجوهره.

فالمعنى الاصطلاحي للبحث قد تباينت تعريفاته باختلاف الباحثين وخلفياتهم العلمية، وبتعدد تخصصاتهم وحقولهم المعرفية ، ومن هذه التعريفات "البحث مجموعة القواعد المستخدمة للوصول إلى حقيقة في العلم أو بمعنى أوضح الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة عدد من القواعد العامة ، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته ، حتى يصل إلى نتيجة معلومة."

والمراد بالبحث ما يشمل كل إنتاج يكتبه الدارس أو الأستاذ في موضوع من موضوعات العلم ، أو فكرة من أفكاره أو مشكلة من مشكلاته ، سواء كان هذا الإنتاج:

مقالة مطولة واسعة يطلق عليها كتابا، وكان القدماء يطلقون عليها اسم لرسالة أو محاضرة.

أو كتابا مختلف الحجم مع تقسيماته إلى فصول ومسائل.

رسالة جامعية يتقدم بها الباحث إلى جامعة من الجامعات لينال بها درجة علمية أعلى من الدرجة العلمية العالية كالماجستير والدكتوراه ، أو الحصول على رتبة أكاديمية أعلى كالأستاذية.

فالبحث " تقرير واف يقدّمه باحث عن عمل تعهده وأتمّه ، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة ، منذ أن كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة ومرتبة ، مؤيدة بالحجج والأسانيد". وهو أيضا "طلب الحقيقة وتتقصيها وإذاعتها بين الناس .. وفي كلمة الحقيقة ما بيّن المعنى الإنساني للبحث ، ويدخل في هذا المعنى الشمول فيما يتصل بالفكر البشري وعاطفته وخياله، دون أن يمنع هذا الشمول في القصد ، أن يرى باحث بارع عناصر الإنسانية بمعناها الواسع خلال موضوع محلي ، يبدو

ضيقا جدا . ومن هنا يلتقي الباحثون من كل صنف الفلاسفة والنقاد ودارسو الأدب . ويجب أن يلتقوا وأن يكون اللقاء فيما يحقّق أهدافهم وكمما لا يغيب عن بالهم."

فنلاحظ أنه قد جرت محاولات عديدة لتعريف البحث العلمي في مختلف العلوم وتتركز جميعها لاكتشاف معلومات أو قواعد جديدة تحكمها أو لتطوير القواعد التي تسود علاقاتها أو لتحقيق المعلومات الجديدة وشرحها وتفسيرها باتّباع المنهج العلمي. ومن هذه المحاولات أيضا هو أنه "مجهود فكري لغرض تطوير الواقع كي يكون أفضل ، إنه نوع من العمل لحل المشكلات التي تواجه الإنسان مهما كانت هذه المشكلات صغيرة أو كبيرة ، إنّه التّفكير بعقلية الغد والمستقبل ، بدلا من التفكير بعقلية الأمس".

أما كلمة (العلمي) فهي "صفة للبحث منسوبة إلى العلم، والعلم من الفعل الماضي علم أو تعلم.". والعلم نشاط إنساني ديناميكي يشكل أحد فروع المعرفة ، وهو عبارة عن تلك المعارف المتحصل عليها عن طريق المعرفة المنسقة، التي تأخذ المنهج العلمي في البحث والتفكير كأساس لها، وهو المعرفة المنسقة التي تنشأ عن طريق الملاحظة والتجريب ، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة وأسس وأصول ما يتم دراسته".

والتفاعل بين كلمتي (البحث والعلمي) ، يقود إلى تعريف البحث العلمي بأنه "إعمال الفكر وبذل الجهد الذهني المنظم حول مجموعة من المسائل أو القضايا

بالتفتيش والتقصي عن المبادئ أو العلاقات التي تربط بينها ، وصولا إلى الحقيقة التي يبنى عليها أفضل الحلول". وهو "التقصي المنظم وباتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية ، بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها أو إضافة الجديد لها".

فالبحث العلمي هو "عملية جمع وتسجيل وتحليل بيانات ومعلومات وحقائق عن مشكلة معيّنة، لتحديد حلول بديلة لها واختيار الحل الأنسب منها في ظل الظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بالحالة قيد البحث." وهو" التفكير والإدراك للمعرفة الإنسانية ، ويأتي من خلال الدراسة والاستقصاء والملاحظة ، وهو طريق للحصول عل المعرفة . والبحث العلمي هو كذلك نشاط علمي يقوم به الباحث ، سعيا لحل أو محاولة حل مشكلة ذات حقيقة معنوية أو مادية أو حدسية، أو لفحص موضوع معين واستقصائه بهدف التعميم أو التصحيح أو التحقيق والتوصل إلى نتائج واختبارها بعناية تعود في المحصلة بخير على مجمع البحث".

كما وجدنا أنّ البحث " محاولة للإجابة على تساؤلات أو حل مشكلات لاكتشاف معارف جديدة أو اختراع وابتكار أشياء حديثة لم تكن معروفة أو موجودة من قبل ، وذلك باتباع أساليب علمية نظامية وخطوات منطقية ، بغرض الوصول إلى معلومات ومعارف جديدة عن طريق بذل الجهود في السعي وراء المعارف مجمع المعلومات وتحليلها باستخدام أساليب ومناهج بحثية موثقة ومعترف بها، ومعالجة

الأفكار والتقصي والتنقيب عنها بجدية وموضوعية، وإقامة الدليل على صحة هذه المعارف والأفكار والتحقق منها وتقنينها وتعميمها".

فالبحث العلمي إذن هو الاستعلام عن صورة المستقبل من خلال اكتشاف الحقائق والعلاقات الجديدة ، والتحقق من صحتها ، وهو وسيلة لدراسة يمكن التمكن من خلاله إلى حل للمشكلات المختلفة عن طريق الاستقصاء الشامل والدقيق لكافة الظواهر والمتغيرات والأدلة التي ترتبط بمشكلة البحث. فهو تطويع للظواهر والحقائق والمفاهيم وتحليلها، للوصول إلى الكلية والعمومية والنهائية ، أي التعمق في المعرفة العلمية أو الكشف عن الحقيقة والبحث عنها.

وحتى يكون البحث علميا على الباحث ألا يتمسك بآراء ليس لها سند علمي وألا يتعصب لآراء بشرية مسبقا إلا إذا كانت مسلمات ، وعليه ألا ينتقي الشواهد التي تؤيد ما يرغب فيه ويهمل ما يعارض رغباته، وألا يكتفي بالانطباعات الذاتية عن الأشياء والحوادث، يعتمد العقل والمنهج العلمي في نظرته إليها .

ومهما يكن من الاختلاف في التعريفات إلى أنّ الجميع يتفق على أنّ البحث العلمي محاولة للوصول إلى حلول للمشكلات المتنوعة ، فهو وسيلة وليس هدفا بحد ذاته، فضلا على أنه استقصاء دقيق ومنظم بهدف اكتشاف المعرفة وفق أسلوب له قواعده العلمية المحددة.

ويتّضح من خلال التعاريف المختلفة أنّ عملية البحث العلمي عملية شاقة ، وتحتاج لكثير من الجهد و العمل والدراسة الدقيقة والتقصي والمحاولة ، وأن الغاية منها هي الوصول إلى معرفة الحقائق والوصول إلى الحلول الأفضل للمشاكل واتخاذ القرارات ووضع التوصيات . أي أن الغاية الأساسية من البحث العلمي هو التعميق في المعرفة والبحث عن الحقيقة واستخلاص فكرة صادقة عن جوهر أي موضوع . والبحث العلمي ليس مقصورا على طالب عليه أن يقدم بحثا أو تقريرا عن موضوع معين أو عن نقاط معينة من جوانب دراسته، وكذلك فإن البحث العلمي ليس مقصورا على عالم متخصص في مجال معين وضمن تخصص معين ، وأيضا فإنّ البحث العلمي ليس مقصورا على باحث يدرس أو يبحث في موضوع محدد. وإنّما البحث العلمي هو طريقة أو محاولة منظمة ، يمكن الاستفادة منها لحل مشاكل معينة، تواجه الإنسان العادي وضمن حياته الاعتيادية، حيث إنّه يعيش بين عدد كبير من المواقف التي تتطلب البحث العلمي.

وإنّ البحث أيا كان المجال العلمي الذي يدور في إطاره عمل علمي ، يمتاز بما يأتي:

- بذل الجهد في تتّبع الموضوع الذي تم تحديده خلال قراءة كل ما يتّصل به في المصادر والمراجع والمقالات والبحوث والدوريات والرسائل الجامعية

والمخطوطات ، بالإضافة إلى طلب التضحية من الذين سبقوا في اقتحام الميدان.

- جمع المسائل والآراء والأفكار تتصل بالموضوع الذي تم اختياره خلال الاستقصاء المنظم الدقيق، للوصول إلى القوانين والقواعد والعلل والأسباب التي تفسر هذا الموضوع، وتقدم الحلول للمشكلات التي تندرج تحته.
- وجود مجموعة من الأساليب والإجراءات التي يمكن أن نسمّيه بالمنهج، وهو يساعد العقل في الوصول إلى الحقيقة التي يفضّل عدم التفكير فيها دون منهج.
- الوصول إلى حقائق جديدة أو تفسيرات علمية دقيقة ، لموضوع الدراسة ، ويقدّم البحث في اللغة بعض التعليلات لظاهرة صوتية أو لاستعمال الصيغ الصرفية ، أو لبناء الجملة وتركيبها النحوي أو لدلالة ألفاظها والتطور الذي يطرأ عليها ، وغير ذلك من الأمور التي يفترض أن يقدّم بعضها البحث اللغوي.

ويتكوّن البحث العلمي من ثلاثة عناصر أساسية :

1/ الموضوع: حيث يتطلب وجود موضوع حول الظاهرة أو مشكلة معيّنة تشغل الباحث الذي يعمل على اكتشاف جوانبها الغامضة ، مع ضرورة أن يكون هذا الموضوع ذو قيمة علمية وفائدة اجتماعية عامة.

2/ المنهج: يتطلب البحث العلمي استخدام خطوات المنهج العلمي الصحيحة والموضوعية، والاستعانة بالأدوات والمقاييس التي تساعد على دقة النتائج ، بحيث تكون هذه النتائج قابلة للاختبار والتحقّق.

3/ الهدف: يجب أن يكون للبحث العلمي هدفا يؤدي إلى تقديم إضافة جديدة للمعرفة.